

عَنْ أَنَسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: لَمَّا ثَقُلَ النَّبِيُّ -صلى الله عليه وسلم- جَعَلَ يَتَغَشَّاهُ الْكَرْبُ، فَقَالَتْ فَاطِمَةُ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا -: «وَكَرَبَ أَبَتَاهُ. فَقَالَ: «أَلَيْسَ عَلَى أَبِيكَ كَرْبٌ بَعْدَ الْيَوْمِ»، فَلَمَّا مَاتَ، قَالَتْ: يَا أَبَتَاهُ، أَجَابَ رَبًّا دَعَاهُ! يَا أَبَتَاهُ، جَنَّةُ الْفِرْدَوْسِ مَأْوَاهُ! يَا أَبَتَاهُ، إِلَى جَبْرِيلَ نَنَعَاهُ! فَلَمَّا دُفِنَ قَالَتْ فَاطِمَةُ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا -: «أَطَابَتْ أَنْفُسُكُمْ أَنْ تَحْثُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- التُّرَابَ؟» رواه البخاري.

مَوْتُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ أَعْظَمَ مُصِيبَةٍ حَلَّتْ بِالْمُسْلِمِينَ، وَلَنْ يُصَابَ الْمُسْلِمُونَ بَعْدَهَا بِمِثْلِهَا، وَقَدْ ظَهَرَ فِيهَا حُبُّ الصَّحَابَةِ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وفي هذا الحديثِ يُخْبِرُ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ شِدَّةِ مَرَضِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الَّذِي مَاتَ فِيهِ، وَأَنَّهُ لَمَّا رَأَتْ فَاطِمَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَبَاهَا النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدِ اشْتَدَّ عَلَيْهِ الْمَرَضُ، وَجَعَلَ يَتَغَشَّاهُ، قَالَتْ: «وَأَكْرَبَ أَبَاهُ!» وَالْكَرْبُ هُوَ مَا اشْتَدَّ مِنَ الْعَمِّ، وَأَخَذَ النَّفْسَ، وَفَاطِمَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا بِهَذَا تَتَدَبُّ شِدَّةَ الْأَلَمِ وَالْمَرَضِ عَلَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَلَمْ يَكُنْ قَوْلُهَا هَذَا مِنَ التُّوَاهِجِ، أَوْ رَفَعِ الصَّوْتِ فِي شَيْءٍ؛ لِأَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمْ يُنْكَرْ عَلَيْهَا، وَعِنْدَمَا سَمِعَهَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَهَا: «لَا كَرْبَ عَلَى أَبِيكَ بَعْدَ الْيَوْمِ»، أَي: لَا يُصِيبُهُ بَعْدَ الْيَوْمِ نَصَبٌ، وَلَا يَجِدُ لَهُ كَرْبًا إِذَا ذَهَبَ إِلَى دَارِ الْكَرَامَةِ.

فَلَمَّا مَاتَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَتْ: «يَا أَبَتَاهُ، أَجَابَ رَبًّا دَعَاهُ، يَا أَبَتَاهُ، مَنْ جَنَّةُ الْفِرْدَوْسِ مَأْوَاهُ»، أَي: نُزُلُهُ وَمَقَامُهُ، «يَا أَبَتَاهُ، إِلَى جَبْرِيلَ نَنَعَاهُ»، النَّعْيُ: هُوَ إِذَاعَةُ خَبَرِ الْوَفَاةِ.

فَلَمَّا دُفِنَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَتْ فَاطِمَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا لِأَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: يَا أَنَسُ، أَي: كَيْفَ رَضِيْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ أَنْ تُهَيَّلُوا التُّرَابَ عَلَيْهِ مَعَ شِدَّةِ مَحَبَّتِكُمْ لَهُ؟! وَهَذَا سُؤَالُ الْحَزِينِ الْمُتَفَجِّعِ الْمُتَأَلِّمِ، وَلَيْسَ سُؤَالُ الْمُعْتَرِضِ عَلَى قَدْرِ اللَّهِ؛ فَقَدْ سَلَّمَتْ أَمْرَهَا لِلَّهِ، وَنَعَتْ أَبَاهَا، وَرَضِيَتْ لَهُ الْجَنَّةَ، وَقَدْ سَكَتَ أَنَسُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ جَوَابِهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا رِعَايَةً وَتَأْدُبًا، وَرَفَقًا لَهَا فِي شِدَّةِ حُزْنِهَا.

وفي الحديث: شِدَّةُ حُبِّ فَاطِمَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَمَّا لِفِرَاقِهِ.

وفيه: مَشْرُوعِيَّةُ البُكَاءِ والحُزْنِ على المَيِّتِ معَ عَدَمِ الاعتِراضِ على الأقدارِ.  
وفيه: بَيَانُ بَشَرِيَّةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَنَّهُ أَصَابَهُ المَرَضُ، والتَّعَبُ، ثُمَّ المَوْتُ.